

الظاهرة الدينية عند مرسيا إلياد

(1986-1907) Mircea Eliade

الدكتورة سعيدة لكحل جامعة الجزائر-كلية العلوم الإسلامية-

الملخص بالعربية:

هذه دراسة عن أحدث منهج في دراسة الأديان وهو الظاهراتية (phénoménologie) وهو منهج فلسفي ظهر مع الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل (1859-1938)، أحد أقطاب الفكر الغربي المعاصر وهو منهج يقوم على معنى خاص للظاهرة (phénomène)، فالوقائع كلها ظواهر أي كان نوعها: ظواهر نفسية، اجتماعية، دينية. ولدراسة الظاهرة الدينية حسب المنهج الظاهراتي يجب دراسة الفعل الديني أو التجربة الدينية عند البشر، على أساس أن الوصول للحقيقة لا يكمن في الاستنباط بل في مراقبة الظاهرة الدينية في أكثر من مكان وزمان للوصول إلى ماهيتها وحقيقتها.

وممن اعتنى عناية كبيرة بدراسة الظاهرة الدينية وفق المنهج الظاهراتي الفيلسوف الروماني مرسيا إلياد (Mircea Eliade) (1907 - 1986).

يرى إلياد أن الدين ليس سوى تجربة معاشة لمتعال مميز عن الإنسان هذا المتعال هو المقدس، وهو أساس وجوه كل الأديان، والتجلي أهم صفة يتصف بها المقدس حسب إلياد فيتجلّى المقدس حسب موضوع طبيعي: حجر، شجرة، حيوان، كائنات أسطورية، تتحول هذه الموضوعات بالنسبة للإنسان المتدين بفعل الزمان إلى علاقة رمزية تمكنه من إضفاء القداسة على الأشياء في بعدها الزماني والمكاني.

Abstract

This is a research on the latest Approach to the study of religions that is phenomenology. A philosophical approach, which appeared with the German philosopher Edmund Husserl (1859 1938), one of the leaders of modern Western thought, which is an approach based on a special meaning of the phenomenon.

All facts are phenomena of whatever kind, Psychological, social and religious phenomena. According to the phenomenological approach, to study the religious phenomenon must study the religious act or the human religious experience on

the basis that access to the truth does not lie in the inference, but in observing the religious phenomenon in more than one place and time to reach its essence and reality.

لقد اهتمت علوم عديدة بدراسة الدين، كتاريخ الأديان ومقارنة الأديان وعلم النفس الديني وعلم الاجتماع الديني، وفلسفة الأديان، واختلفت مناهج الدراسة باختلاف العلوم الدارسة للظاهرة الدينية.

ومن أحدث المناهج الغربية في دراسة الدين المنهج الظاهراتي (phénoménologie) فما المقصود بهذا المنهج؟ وكيف تناول هذا المنهج الظاهرة الدينية بالدراسة؟

الظاهراتية منهج فلسفي ظهر مع الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل (1859-1938)، أحد أقطاب الفكر الغربي المعاصر وهو منهج يقوم على معنى خاص للظاهرة (phénomène)، فالوقائع كلها ظواهر أي كان نوعها: ظواهر نفسية، اجتماعية، دينية... أما الظاهرة في المنهج الظاهراتي فهي الموضوعات المختلفة في علاقتها مع الشعور باعتبار أن الشعور دائما في علاقة مع الموضوعات، فالشعور بشيء هو دائما شعور بموضوع ما فأنا أرى شيئا، أسمع صوتا، وهكذا في كل المواضيع التي أشعر بها، فالظاهرة عند هوسرل هي ما يظهر للشعور¹.

وعلى هذا فلدراسة الظاهرة الدينية حسب المنهج الظاهراتي يجب دراسة الفعل الديني أو التجربة الدينية عند البشر، على أساس أن الوصول للحقيقة لا يكمن في الاستنباط بل في مراقبة الظاهرة الدينية في أكثر من مكان وزمان للوصول إلى ماهيتها وحقيقتها²، فالظواهر الدينية هي المدخل العلمي والصحيح والوحيد لدراسة الأديان وبذلك يكون الدين الظاهراتي علما تجريبيا كما يرى الظاهراتيون³.

ولقد اتبع هذا المنهج في دراسة الظاهرة الدينية علماء كثر من الغرب أمثال ماكس شيلر وهنري كوربان ومن العرب فراس السواح وحسن حنفي، وممن اعتنى عناية كبيرة بدراسة الظاهرة الدينية وفق المنهج الظاهراتي الفيلسوف الروماني مرسيا إلياد، فما معنى الظاهرة الدينية عنده؟ وكيف درس الظاهرة الدينية؟

¹ نادية بونفقة، فلسفة إدموند هوسرل، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2005، ص 56-60

² خزعل الماجدي، علم الأديان، بيروت، مؤمنون بلا حدود، ط 2016، ص 282.

³ دين محمد محمد ميرزا، مقالات في المنهج، ط 1، دار البصائر، القاهرة، 2009، ص 122

مرسيا إلياد: حياته ومؤلفاته:

(Mircea Eliade) (13 مارس 1907 - 22 أبريل 1986 كاتب و مؤرخ أديان و فيلسوف وروائي روماني.

-حياته: ولد (مرسيا إلياد) في بوخارست في التاسع من شهر مارس عام 1907، والده كان ضابطاً في الجيش الروماني، تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في مدينته ناتال ببوخارست ، وسجل سنة 1925 في كلية الفلسفة بجامعة بوخارست ليتخرج بشهادة الليسانس سنة 1928 وهو في الحادية والعشرين من عمره¹.

تحصل من أحد المهرجات(maharadjah) الهنود على منحة لدراسة اللغة السنسكريتية والفلسفة الهندية لمدة أربعة أعوام (1928-1931) في جامعة (كلكتا calcutta) انتقل بعدها ليعيش لمدة ستة شهور في صومعة أحد النساك في قمة جبال الهيمالايا، حتى يمر بالتجربة الدينية الصوفية العميقة التي يعيشها رجال الدين من المتصوفة والزهاد هناك، ويجمع بذلك بين الدراسة النظرية والحياة العملية التي تقوم على الممارسة الفعلية².

وحين عاد إلى رومانيا حصل عام 1933 على الدكتوراه برسالة عن (اليوجا... مقال في أصل أسرار التصوف الهندي). وقد عيّن بعد ذلك في الجامعة لتدريس تاريخ الأديان والفلسفة الهندية³.

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية عمل ملحقاً ثقافياً لبلاده في لندن ثم في لشبونة، فلما انتهت الحرب انتقل كي يعيش في باريس وعمل أستاذاً زائراً في مدرسة الدراسات العليا بالسوربون إلى أن انتقل إلى جامعة شيكاغو عام 1956 ليشغل وظيفة أستاذ لتاريخ الأديان⁴.

ومن ذلك الحين حتى وفاته كرّس كل وقته وجهده للدراسة والكتابة والتأليف والمشاركة في تأسيس المجالات والدوريات المتخصصة في تاريخ الأديان وفلسفة الدين، وغطى إنتاجه الغزير كثيراً من مجالات البحث التي كان يعالجها كلها من موقف

¹http://www.jesuismort.com/biographie_celebrite_chercher/biographie-mircea_eliade-7260.php

² www.arlfb.be/composition/membres/eliade.html

³ www.arlfb.be/composition/membres/eliade.html

⁴ www.arlfb.be/composition/membres/eliade.html

الدكتورة سعيدة لكحل

محدد يقوم أساساً على تجربته الدينية الذاتية، و توفي سنة 1986 في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية. عن عمر يناهز التاسعة والسبعين.¹

-إنجازاته العلمية ومؤلفاته:

أ-مقالاته:

ما يميز حياة إلياد بعد هذا كله هو كثرة وتنوع الانجاز العلمي والفكري والإبداعي، خاصة أنه كان قد بدأ العمل في البحث والكتابة والتأليف في سن مبكرة بشكل غير مألوف. فقد ظهرت أولى مقالاته في مجلة علمية في وطنه وهو لا يزال في الرابعة عشرة من عمره عام 1921. (Comment j'ai découvert la pierre philosophale).²

ولما بلغ الثامنة عشرة كان قد نشر ما يزيد على مائة مقال وبحث ودراسة في موضوعات مختلفة، وإن كان الكثير منها يدور حول الدين والتفكير الديني واللغة الرمزية، وقد أنشأ عام 1938 في وطنه رومانيا دورية بعنوان (الموكسيس: مجلة الدراسات الدينية) استمرت حتى عام 1942. وقد أفادته هذه التجربة حين شارك في تأسيس وإصدار مجلة بعنوان (آنتايوس) عام 1960 وهو في أمريكا، تخصصت هي أيضاً في دراسات الأديان المقارنة وظلت تصدر حتى عام 1972، وفي الوقت ذاته أسهم بجهوده في إصدار دورية أخرى حققت شهرة عالمية واسعة وأصبحت من أهم الدوريات في فرع التخصص، ونعني بها مجلة (تاريخ الأديان) التي بدأ صدورها عام 1961.³

- مؤلفاته:

على الرغم من تأثر حياة إلياد وتفكيره بالروحانية الهندية، فإن أعماله وكتاباته تجاوزت الديانات الهندية المختلفة وحاولت أن تغطي كل الأديان المعروفة، سواء في ذلك أديان ومعتقدات الشعوب البدائية، أو المعتقدات والأساطير القديمة، أو أديان الحضارات القديمة التقليدية، أو الأديان السماوية المنزلّة وفي ما يلي ذكر لمؤلفاته في الفكر الديني:

-دراسة في تاريخ الأديان: الذي ظهر عام 1949 وهو أولى كتبه.

¹ <http://alhiwartoday.net/node/7976>

² http://www.jesuismort.com/biographie_celebrite_chercher/biographie-mircea_eliaade-7260.php

³ <http://alhiwartoday.net/node/7976>

- أسطورة العود الأبدية: عام 1949 الذي يعتبر أكثر كتبه شهرة وأوسعها انتشاراً نظراً لطرافة موضوعه الذي يدور في أغلبه حول النماذج والأبنية الدينية والفكرية والكونية التي تتكرر في مختلف الثقافات، وإن كانت تتخذ أشكالاً وصوراً مختلفة
- تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية: عام 1949 الذي يقع في ثلاثة أجزاء كبيرة.
- أسطورة العود الأبدي عام 1949.
- الصور والرموز عام 1952 .
- ولادة الأساطير عام 1959.
- المقدس والمدنس عام 1965.
- الأساطير والأحلام والأسرار عام 1972
- المقدس والعادي: هو كتاب متوسط الحجم يتحدث فيه مرسيا عن الفرق بين المقدس والعادي.
- الديانات البدائية، عام 1973،
- تعريف الظاهرة الدينية:

تعريف الظاهرة الدينية يعتبر من أصعب الوظائف التي يمكن أن ينتدب العالم الاجتماعي، نفسه للقيام بها، ولا يعود الأمر هاهنا إلى الصعوبة الأنطولوجية التي ترتبط بكل عملية للتعريف كيفما كان نوعها، وإنما يرجع الأمر إلى تعدد الممارسات الدينية وكثرتها، وتعدد الاعتقادات الروحية واختلافها، بالإضافة إلى وجود الدين موضوعاً لكل أشكال المعرفة الإنسانية العلمية منها والعامية، حتى قبل أن تتأسس علوم الدين بمختلف أنواعها.¹

ولتفادي هذه الصعوبة تقترح الظاهراتية مقارنة جديدة للاشتغال على الظاهرة الدينية؛ فترى أن التصورات العامة والنظرية حول الدين لا يمكن أن تسعفنا على الإطلاق في اختراق جغرافية الفعل الديني، لأنها تنظر بطريقة معيارية إلى المعرفة الدينية، وعليه لدراسة الظاهرة الدينية حسب الظاهراتية يجب تطبيق المنهج الظاهراتي على الظاهرة الدينية.

1 Emile, Durkheim, les formes élémentaires de la vie religieuse, Paris, Les Presses universitaires de France, 1968, cinquième édition, p31-32,

الدكتورة سعيدة لكحل

فالظاهرة الدينية عند مرسيا إليات تحمل المعنى الظاهراتي، فالظاهرة ليست مرادفة لشيء محسوس، إذ بشكل آخر، ما يبدو أمراً محسوساً بفضل حواسنا لا يعني أنه التعبير العيني للحقيقة، باعتبار أنه لا وجود لشيء إلا بفضل الوعي فالظاهرة هي معاً موضوع متعلق بالذات وذات منتسبة لذلك الموضوع ومن هنا أهمية مفهوم الانطباع الذي يميز العلاقات بين الظاهرة -الموضوع والوعي- الذات إذ الانطباع هو شكل ولوج الوعي للواقع لجوهر الأشياء ذاتها و الظواهرية هي تفسير لعلاقة التغير بين الذات والموضوع في مستوى تجربة معاشة¹.

لذلك حاول مرسيا إليات تخلص علم الأديان من آفتين:

أولاً ما يسمّيه بالنزعة الاختزالية، أي إرجاع الظواهر الدينية إلى مستويات غير دينية تعتبر هي أساس تفسيرها (المجتمع، الاقتصاد، البنية النفسية... إلخ). فقد كان يلجّ دوماً على أنّ مشروعية علم الأديان تنبع من أنّ موضوعه موضوع مستقل متميز، وإن كان هذا لا ينفي استفادة هذا العلم من كلّ العلوم المساعدة الأخرى (تاريخ الأديان، سوسيولوجيا الدين، علم النفس الديني، وثانياً: تخلص المنهج من استصنام الموضوعية وضرورة تورطه في مغامرات تأويلية لا مفرّ منها إن أردنا لعلم الأديان أن يكون مفيداً، وأن يضطلع بدوره في تأسيس ما يسميه "نزعة إنسية جديدة"².

مفهوم الدين عند إليات:

يرى إليات أن الدين ليس سوى تجربة معاشة لمتعال مميز عن الإنسان هذا المتعالّي هو المقدس، وهذا المقدس حسب إليات لا يرى فكيف السبيل إلى الحديث عنه؟

مفهوم المقدس:

المقدس في لسان العرب من قدس تقديس، أي تنزيه الله عز وجل وفي التهذيب: القدس تنزيه الله تعالى وهو المتقدس القدوس المقدس، ويقال القدوس فعول من القدس وهو الطهارة والتقدّيس التطهير والتبريك وتقديس أي تطهر.³

¹ انظر: ميشال ميسلان، علم الأديان، ترجمة عز الدين عناية، ط1، كلمة: أبو ضبي، المركز الثقافي العربي: بيروت، الدار البيضاء، 2009- ص170.

² إبراهيم مجيديلة <http://www.mominoun.com/articles> أكتوبر 2016

³ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، 2003، ج12، ص40.

أما في موسوعة لالاند الفلسفية يعتبر المقدس كل ما يتعين عليه أن يكون موضوع احترام ديني من قبل جماعة المؤمنين¹.

وفي القاموس الأنثروبولوجي المقدس هو صلة يطلقها المجتمع على أشياء وأماكن وأعمال يعتبرها واجب الاحترام، فيقيم لها طقوسا دينية لاعتقاده باتصالها بعبادة الإله أو الآلهة أو المعبودات والقوى فوق الطبيعية أو لأنها ترمز إلى القيم الأساسية للمجتمع ولهذا فهي مصنوعة من العيب والتخريب².

المقدس عند مرسيا إلياد:

البحث في المقدس:

قبل الحديث عن المقدس والمدنس عند إلياد تجدر الإشارة إلى موقف العلماء من البحث في المقدس

في كتاب le sacré et la violation des interdits ، يعتبر الباحث الفرنسي ليفي ماكاريوس أن البحث في المقدس في ذاته إبطال لمفعول قدسيته، بل إنه شكل من أشكال انتهاك المحرم وعبارة مغايرة يحول البحث في المقدس إلى موضوع شبيه بجميع موضوعات الفكر، يقال باللغة ويفكر بها وفيها، الأمر الذي يخضعه لمنطقها وعقلانياتها الداخلية ومن ثم يدخل عليه ما هو غريب عنه، ومتعارض معه والحال هذا، فإن افتراض إبطال مفعول المقدس حين بحثه وتفكيره، يحيل على تعريف معين للمقدس بوصفه ما ينتفي بحلول ما يعارضه ويغايير طبيعته³. التعريف نفسه نجده عند عالم الاجتماع إ. دوركايم، الذي حدد قدسية المقدس بما يعارضها بشكل كامل عن مجال المدنس، فبقدر ما يحيل المقدس داخل سياق تعارضه مع المدنس إلى ما هو طاهر وخالص، فإن المدنس يحيل إلى ما هو دنيوي ونجس، فالمقدس في تصور إ. دوركايم متماثل مع الديني الذي يعتبر ابتكار جمعي، لذا فإنه مميز بالتعالى عن حياة الأفراد، وهو الوجه المفاوق والمتعالى لحياة الجماعة

¹ اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل ط2، دار عويدات للنشر والتوزيع، بيروت، 2001، مج3، ص1229.

² شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت، ط1، 1981، ص130.

³ laura levi makarius, le sacré et la violation des interdits Paris: Éditions Payot, 1974,p98-99

الدكتورة سعيدة لكحل

الدينيوية، وبسبب سماته وخصائصه تلك، لا يستطيع التعايش مع ما يعارضه ويمهدمه أي المندس¹.

في نفس هذا الطرح الدوركايمي، يذهب مارسيل ماوس إلى القول بأن كل سؤال عن المقدس يتحول إلى سؤال عما يعارضه ويخالفه، وكل تعريف للمقدس يحيل إلى تعريف ما يعارضه، بل يصبح تعريفا لهذا الحد الذي نستخدمه بالمقدس². يلاحظ أن هذه التعاريف، وخاصة التعريف الدوركايمي للمقدس، يقلص أمام الباحث تعقد وتشعب هذا المجال، حيث يصبح بالإمكان إرساء الحدود بوضوح بين ما هو مقدس وما هو مندس، في حين أن هذين المفهومين في حاجة إلى مزيد من التنقيب والبحث لرفع الالتباس والغموض الذي يحيطهما. عملت الأبحاث الكثيرة التي جاءت بعد إدوركايم على رفع التعارض بين المقدس والمندس من جهة، ومن جهة أخرى، على فك وصال التماهي بين المقدس والديني، من دون نفي العلاقات والتشاركات الحاصلة بينهما من بين هذه الأبحاث أبحاث مرسيا إلياد³.

تجلي المقدس:

المقدس عند إلياد هو أساس وجوهر كل الأديان، لذلك يستعمل لدراسة الظاهرة الدينية مفهومي المقدس والمندس أو الديني وجدلهما، فالمقدس عنده هو أنه يعارض الديني وضرب أمثلة عديدة و لبيان ذلك سوف نعرض لها في هذه الصفحات.

في سياق هدم الهوة التعارضية بين المقدس والمندس، استعمل مرسيا إلياد لفظ التجلي، الذي سمح بتجاوز الثنائيات التعارضية، ومن تم إعلان أشكال التواصل القائمة بين المقدس والمندس. فالمقدس هو فقط تجلي للديني في الزمان

¹ Emile, Durkheim, les formes élémentaires de la vie religieuse 42-43

² أوقاش جواد ، المقدس والمندس

<https://plus.google.com/109202879331230633307/posts/T3qqJeBfjy>

2011/12/2 ، Y

³ المرجع نفسه.

والمكان والسلوك والعمران والهندسة والطبيعة... ومن حيث هو كذلك تظل إمكانية العبور من المندس إلى المقدس، ومن المقدس إلى المندس حاضرة على الدوام. يعتبر التجلي أهم صفة يتصف بها المقدس حسب إلياد، يوضح إلياد مفهوم تجلي المقدس في كتابه "المقدس والعادي".

إن التجلي أو "AVATAR" عند لالاند هو لفظ سانسكريتي يعني النزول. وبالمجاز تستخدم للدلالة على التجسد¹ وفعلا يلائم هذا المعنى علاقة المقدس بالديوي لأن المقدس عندما يتمظهر في الديوي يعد ذلك نزولا أو تجليا. لأنه أرفع منه شأنًا وقيمة. إنه لا يعرب إلا عما ينطوي عليه أصله اللغوي، أي معنى شيء مقدس يظهر لنا²

بل إن تاريخ الأديان عند إلياد هو تراكم تجلي المقدس، منذ أن تجلى المقدس في موضوع من المواضيع حجر أو شجر كما في الديانات البدائية حتى تجلي القداسة في يسوع المسيح، كل هذا يمثل نفس الحدث وهو تجلي القداسة أو تجلي شيء مغاير تماما عن عالمنا في شيء من عالمنا العادي³.

علاقة التجلي بالرمز:

تجلى مسألة المقدس حسب "مرسيا إلياد" في موضوع طبيعي ، حجر، شجرة، حيوان، كائنات أسطورية... يكون هذا التجلي عبارة عن توغل في اللامرئي، من الموضوع باعتباره موضوعا مطلقا، هكذا يكون الإنسان المتدين على علاقة انفعالية وتفاعلية ، مع الكون وأشياءه، تجعله ينظر إلى الكون بقدسية فالعيش في المقدس وجواره هي الحقيقة الموضوعية بالنسبة للإنسان المتدين⁴.

ينشئ الإنسان المتدين عالما من الرموز symboles ، تكون هذه الرموز في مجموع صورها الأداة التي يترقى بها إلى المقدس والإلهي ، "هناك أمثلة عديدة تكشف عن رغبة الإنسان في إضفاء القداسة، على ما هو دنيوي فالمعبد يشكل فتحة بمعنى الكلمة صوب الأعلى، ليضمن التواصل مع الآلهة . إن الحنين العميق للإنسان

¹ . أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، ج1، ص 125

² مرسيا إلياد، المقدس والعادي ، ترجمة عادل العوا، التنوير، بيروت، 2009 ، ص51.

³ المرجع نفسه ، ص51.

⁴ المرجع نفسه ، ص52-53

الدكتورة سعيدة لكحل

المتدين هو أن يسكن عالما إلهيا بمعنى العيش في كوزموس طاهر ومقدس كما كان في البداية¹.

إن الرموز في حياة الإنسان المتدين تأخذ صورة شمولية، تتواشج بين الحياتين العادية والمقدسة، بل في كثير من الأحيان يغلب الجانب المقدس على العادي، يضيع في الزمن المقدس فما هو الزمن المقدس؟ وما هي خصائصه؟

الزمن	المقدس	وتجلي	القداسة:
-------	--------	-------	----------

هناك فترات زمنية أفضل من أخرى في المخيال الاجتماعي، ويرى مرسيا إلياد أن هناك فترات من الزمن المقدس كزمن الأعياد ذات الدلالة الدينية، والزمن غير المقدس أو الزمن الدنيوي، حيث يرى مرسيا دائما أن الإنسان المتدين يستطيع بواسطة الشعائر المرور بدون خطر من الزمن العادي إلى الزمن المقدس بواسطة الشعائر، فكل وقت طقوسي يتكون من إعادة تحيين حادث مقدس حاصل في الماضي، فعيد ديني معين يقتضي حسب إلياد دائما الخروج من الفترة الزمنية العادية إلى الزمن المقدس فالزمن المقدس أمر يمكن استرجاعه إلى غير ما نهاية وهو يقبل التكرار بصورة غير محدودة.²

يقول مرسيا إلياد: "الزمن المقدس يقبل من حيث طبيعته ذاتها القلب أي إنه بالمعنى الصحيح، زمان أسطوري أولي غدا حاضرا فكل عيد ديني، كل زمان شعائري يتألف من إعادة إنجاز حالي حادث مقدس كان قد حدث في ماض أسطوري وأن المشاركة الدينية في عيد من الأعياد تستلزم الخروج من الديمومة الزمنية العادية بغية إعادة التكامل مع الزمان الأسطوري الذي يتكرر إنجازاه الحالي بالعيد ذاته وعلى هذا فإن الزمن المقدس أمر يمكن استرجاعه إلى غير ما نهاية وهو يقبل التكرار بصورة غير محدودة³.

إن هذا التعريف الذي قدمه "مرسيا إلياد" للزمن المقدس يدل على أن الزمن عند الإنسان المتدين، ليس زمنا طبيعيا دنيويا بل يحاول الإنسان المتدين، أن ينسحب من الزمن الطبيعي كلما تهيأت الفرصة، ولا تكمن هذه الفرصة إلا في الأعياد

¹ عبد القادر ملوك، مفهوم الرمز عند مرسيا إلياد

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=315898>

² مرسيا إلياد، المقدس والعادي، ص 103-104

³ المرجع نفسه، ص 103-104

والمناسبات، باعتبارها لحظات زمنية تمكن الإنسان من الانعتاق قيود الزمن الطبيعي، يقول مرسيا إلياد: " في أثناء قطع الزمان الذي تشكله السنة لا نشهد إيقافا فعليا لفترة زمنية معينة، وبداية لفترة أخرى وحسب وإنما نشهد أيضا إبطالا للسنة الماضية وللزمن المنصرم، وهذا من جهة ثانية هو معنى التطهيرات الطقسية، حرق ومحو للخطايا والذنوب للفرد والجماعة في مجموعها"¹. إذن على هذا النحو يتخذ الزمان بالنسبة للإنسان المتدين، شكلا دائريا أي استرجاعيا، فكل لحظة هي حنين ممتد صوب الإعادة والتكرار.

لكن الأمر لا يتوقف عند هذا فحسب، بل يضطلع الزمان بخصائص أخرى من أهمها: "الولادة المتجددة" وهي ماهية الزمن بالنسبة للإنسان المتدين، فكل سنة جديدة هي عودة بالزمان إلى بدايته أي تكرار لولادة الكون².

و للاستدلال على ذلك يستعين إلياد بخبرته كمؤرخ أديان في رصد أكبر عدد من الوقائع التاريخية من مختلف الحقبات الزمنية.

ففي الهند نصب مذبح النار يعني تكرار نظرية تكون العالم" إنهم لا يعيدون صنع العالم عند بناء كل مذبح للنار وحسب، بل إنهم يجددون أيضا شباب الزمان بخلقه من جديد ومن ناحية أخرى تشبه السنة باراجاباتي (إله الكون) ومن ثم فإن كل مذبح جديد يعيد إنعاش باراجاباتي... فالأمر لا يتعلق بالزمان العادي بمجرد الديمومة الزمنية بل بتقديس الزمان الكوني"³.

وفي بابل كان الناس ينشدون بصورة رسمية قصيدة الخلق ال(أنوما أليش) خلال حفلة أكييتو التي كانت تجري في الأيام الأخيرة من السنة الجديدة وبهذا الإنشاء الشعائري كانوا يعيدون في الحاضر القتال الذي جرى بين مردوخ(خالق الكون) وبين الوحش البحري تيامات⁴.

¹ مرسيا إلياد، العود الأبدي، ترجمة نهاد خياطة، ط1، دمشق: دار طلاس، 1987، ص 103.

² المرجع نفسه، ص107.

³ المرجع نفسه، ص108.

⁴ المرجع نفسه، ص110.

الدكتورة سعيدة لكحل

وفي فارس الاحتفال بالسنة الجديدة النيروزيخلد ذكرى يوم خلق العالم والإنسان¹ وفي أستراليا قبائل الأرونوتا يسيرون خلال الاحتفالات الطوطمية السنوية على درب جد العشيرة الأسطوري في زمن التشرنكا (زمان الحلم) ويتوقفون حيث توقف الجد ويكررون الحركات نفسها التي قام بها في ذلك الزمان². ويواصل إلياد في توضيح معنى الزمان المقدس من مختلف الأزمنة التاريخية ومختلف المجتمعات.

المكان المقدس وتجلي القداسة:

يرى الإنسان الديني أن المكان غير مجانس فهو يحتوي على انقطاعات، وهناك أجزاء من المكان تختلف كيفيا عن سواها .

يستدل إلياد على ذلك بقول الرب إلى موسى في سفر الخروج، الإصحاح3-5 " لا تقترب إلى هنا اخلع حذاءك من رجلك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة". فهناك إذن مكان مقدس ومكان غير مقدس³

ويوضح إلياد الفرق بين المكانين بعدة أمثلة من الوقائع التاريخية وهو بهذا يوظف تجربته كمؤرخ للأديان "إن كل مكان مقدس ينطوي على تجلي القداسة وعلى انبثاق المقدس الذي ينجم عنه انتزاع أرض عن وسط كوني مجاور وجعلها مغايرة مغايرة⁴ كيفية

-إن عتبة الكنيسة تعتبر حسب المتدين الحد الفاصل بين عالمين، إنها تنقله من العالم الدنيوي إلى عالم المقدس فعملية المرور على العتبة لا تكون إلا بحركات معينة ركوعا أو انحناء تقديسا لرمزية العتبة التي لها حراسها.ولقد عبر الإنسان عن المكان المقدس بتقديم القرابين والذبائح والأضاحي⁵.

وعليه يمكن استنتاج ما يلي:
- تتجلى مسألة المقدس، بالنسبة للإنسان المتدين في موضوع طبيعي، يتحول بفعل

¹ مرسيا إلياد، المقدس والعادي، ص112.

² المرجع نفسه، ص118

³ المرجع نفسه، ص59

⁴ المرجع نفسه، ص64

⁵ المرجع نفسه، ص62-63

- | الزمان | إلى | علاقة | رمزية. |
|--|-----|----------------|------------|
| - يحيط الإنسان المتدين نفسه بمجموعة من الرموز، تمكنه إضفاء القداسة على الأشياء | في | بعديها الزماني | و المكاني. |
| - الرموز التي يتخذها الإنسان المتدين، موضوعا مقدسا هي التجسيد الفعلي للإلهي | في | موضوعات | عديدة. |
| الثاوي | | | |
| - الزمان المقدس هو الإشباع الروحي بالنسبة للإنسان المتدين وفيه ماهيته. | | | |
| - الزمان المقدس عند الإنسان المتدين، عود وتكرار وولادة متجددة تمكنه من التطهر والنقاء. | | | |

وهكذا يرى إلياد ككل الظاهرتين أن الظاهرة الدينية هي أحسن وسيلة وأضمنها للتوصل إلى حقيقة الدين وحقيقة المقدس.

خلاصة:

وحاصل القول أن دراسة الدين وفق المنهج الظاهراتي يعتمد على تتبع الظواهر الدينية أو الوقائع الدينية أو الفعل الديني في مختلف الحقبات و العصور، ومحاولة الوصول إلى تفسيرها وفهمها دون الاعتماد على الكتب المقدسة لتلك الأديان. والغاية من ذلك إبعاد الوحي كمصدر للأحكام والشرائع، وإن جاز ذلك مع الأديان التي ليس لها كتب مقدسة، فإن هذا لا يجوز تماما مع الأديان التي تمتلك كتباً مقدسة تحوي عقائدها وشرائعها.

أما بالنسبة للإسلام فالحقيقة المتعلقة بالدين وبظاهرة التدين عند المسلم لا تطلب إلا من المصادر الأصلية من الكتاب والسنة وليس للإنسان المسلم الحق في أن يختار لنفسه ما يشاء من أفكار وعقائد إلا بموافقتها الكتاب والسنة.

الدكتورة سعيدة لكحل

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل ط2، دار عويدات للنشر والتوزيع، بيروت، 2001.
- 2- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، 2003.
- 3- خزعل الماجدي، علم الأديان، بيروت، مؤمنون بلا حدود، ط2016، ص1، ص282.
- 4- دين محمد محمد ميرا: في علم الدين المقارن، مقالات في المنهج، ط1، دار البصائر، القاهرة، 2009.
- 5- شاكر مصطفى سليم، قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت، ط1981.
- 6- مرسيا الياد، العود الأبدي، ترجمة نهاد خياطة، ط1، دمشق: دار طلاس، 1987.
- 7- مرسيا إلياد، المقدس والعادي، ترجمة عادل العوا، التنوير، بيروت، 2009.
- 8- ميشال ميسلان، علم الأديان، ترجمة عز الدين عناية، ط1، كلمة: أبو ضبي، المركز الثقافي العربي: بيروت، الدار البيضاء، 2009.
- 9- نادية بونفقة، فلسفة إدموند هوسرل، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2005.

10- Emile, Durkheim, les formes élémentaires de la vie religieuse, Paris, Les Presses universitaires de France, 1968, cinquième édition

11-laura levi makarius, le sacré et la violation des interdits Paris: Éditions Payot, 1974

المواقع الالكترونية

- http://www.jesuismort.com/biographie_celebrite_chercher/biographie-mircea_eliade-7260.php
- www.arlfb.be/composition/membres/eliade.html
- <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=315898>
- <https://plus.google.com/109202879331230633307/posts/T3qqJeBfjyY>
- <http://www.mominoun.com/articles>